القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

داود عليه السلام

١٤

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

داود

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

تاه بنو إسرائيلَ أربعينَ عامًا فى الصَّحْراءِ جزاءَ مخالفتِهم لأمرِ اللّه ، وعدَمِ دخُولِهِم الأرضَ المقدَّسَةَ ومعهم نبيُّهُم موسى . وقد ماتَ موسى عليه السَّلام . وجاءَ بعدَه نبيٌّ آخَرُ من بنى إسرائيل . وكانوا قد تأدَّبوا بالعِقابِ الّذى عاقبهم اللّه به فى الصَّحْراء ، فأطاعوا النبىَّ الجديد ، ودخلوا أرض فِلَسطين ، وهزموا سُكَّانَها الذين كانوا كُفَّارا فى هذا الوقتِ وامتلكوها .

ولكن فيما بعدُ وقعتْ بينَهم وبينَ أهلِ فِلَسْطينَ حروبٌ أُخرى ، فهزمَهُم أهلُ فِلَسْطين ، وأذلوهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، وقَتَلوا رجالَهم ، وأخَذُوا أولادَهم ، واستولَوْا على التّابُوت ؛ والتابوت صُندوقٌ وضَعَ به بَنُو إسرائيلَ الألواح ، وعصا موسَى ، وشيئًا من المَنِّ الذى نزَل عليهمْ فى طور سِينا ، وبعضَ أشياء خاصة بِهارون . وقد هُزِم بنو إسرائيل لأنهم عادوا إلى عصيان اللّه ، فسلط عليهم أهل فلسطين الأشداء ، وعادوا مشرَّدين أذلاء .

اجتمع أكابرُ بنى إسرائيلَ وفكروا فى حالِهم ، فساءَهُم الذلُّ الّذى هُمْ فيه ، فرأوْا أنْ يذهبوا إلى نبيِّهم ، الذى أرسلهُ اللّه إليهم فى ذلك الزمان ، يدعوهُم إلى العملِ الصالح ؛ فلما قابلوه قالوا له :

ـ أذلّنا أعداؤُنا ، واستوْلَوا على التّابوت ، وهزمونا ، وشتّتونا ، وقَتَلوا الرِّجال وأخذوا الأولاد ، فجئنا إليك نشاورُكَ فى هذا الأمر .

فقال لهم نبيهم :

ـ وماذا تريدون ؟

- نريدُ أن تدعوَ ربَّكَ ليجعلَ علينا مليكًا يحكُمنا ، ويجمعُنا حولَه ككلِّ شعوب الأرض ، ويقودُنا لِنقاتِلَ في سبيل اللّه .

قال لهم نبيُّهم :

« هل عَسَيْتُم إنْ كُتِبَ عليكُم الْقتالُ ألا تُقاتِلوا» ؟

« قالوا : وما لَنا ألاَّ نُقاتِلَ في سبيل اللّه ، وقد أُخْرِجْنا من ديارِنا وأبنائنا ؟ ».

٢

ذهب النبيُّ يُصلّي لله ويدعوه أنْ يجيب رغبةَ قومِه ، وبينما هو يصلّي أوْحَى اللّه إليه أنه سيجعلُ طالوتَ مِلكا عليهم ، فخرجَ النبيُّ إلى بنى إسرائيلَ وقال لهم :

- إنَّ اللّه استجابَ لدعائِنا ، وسيبعث لنا مِلكا .

فقالوا في لهفة :

- من هو ؟

قال لهم نبيهم :

- طالوت .

وكان طالوتُ رجلا فقيرا ، فقال بعضهم :

« أنّى يكونُ له الْمُلْكُ ونحنُ أحقُّ بالْمُلكِ منْه ، ولمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ المال ؟ » قال نبيُّهم :

« إنَّ اللّه اصطفاهُ عليكُم ، وزادَهُ بَسْطَةً في الْعِلمِ والْجسم ، واللّه يُعْطِي مُلكَه مَنْ يَشاء ، واللّه واسِعٌ عليم » .

وقال قائل منهم :

- وما أدرانا أنَّ اللّه اختارَ طالوتَ ليكون ملكا لنا ؟

فقال لهم نبيُّهم :

« إن آيةَ مُلكِه أن يأتِيكم التّابوت ، فيه سكينةٌ من ربّكم ، وبَقِيةٌ مما تركَ آلُ موسَى وآلُ هارون ، تحمِلُهُ الملائكة ، إنَّ فى ذلك لآيةً إن كنتم مؤمنين » .

واجتمع الناس حولَ نبيهم ينتظرون آيةَ اللّه ، وإذا بهم يجدون التابوتَ أمامَهم بكلِّ ما فيه ففرِحوا وولّوْا طالوتَ مِلكا عليهم .

٣

طلب طالوتُ من بنى إسرائيلَ أنْ يَستعدُّوا لقتال أعدائِهم ؛ فخرج فِيمَنْ خرجَ مع طالوتَ داودُ وإخوتُه وأبوه ، وكان داودُ أصغر إخوته ، خرج معهم ليقدم لهم الطعامَ والماءَ فى أثناء القتال .

وقبل أن يتحرك الجيش ، قال طالوتُ لجنوده : «إنَّ اللّه مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَر (يعنى سيمتحنكم بنهر) ،

فَمَنْ شَرِبَ منه ، فليسَ مِنّى ، ومَنْ لم يَطْعَمْهُ فإنّه مِنّى ، إلا مَنِ اغْتَرفَ غُرْفَةً بيدِه » .؟

قال طالوتُ لهم ذلك لِيعرفَ إن كانوا سيطيعون أوامِرَه أم يعصونَها لأنّه لا فائدةَ فى جُندِىٍّ لا يطيع أوامرَ قائِده .

وسارَ جيشُ طالوت ، حتى إذا وصَلوا إلى النّهر ، شرِب بنو إسرائيلَ منَ النهرْ ، وعَصَوْا أمرَ طالوت ، إلا قليلا منْهم ؛ فأمر طالوتُ مَن عَصَوْه وشَرِبوا من النّهرِ أنْ يرجِعوا لأنه لا خيرَ فيهم ، إذْ أنهم لا يُطيعون الأوامر .

وعبرَ طالوتُ والذين معه النهر وأصبحوا أمامَ جيشِ جالوتَ حاكم الفلسطينين ، فلما رأَوا جيشَ جالوتَ الضّخْمَ خافوا ، وقالوا :

« لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوتَ وجنودِه » إنَّ إخوانَنا

قد تركونا . وأَصبحَ جيشُ جالوتَ أكبرَ من جيشنا .

فقال المؤمنون ، الذين يظنون أنهم مُلاقون اللّه :

« كَمْ مِنْ فِئَةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإِذنِ اللّه ، وَاللّه معَ الصَّابِرين » .

وخرج جنودُ طالوتَ للقاء جنودِ جالوت ، واستعدُّوا للقتال ، وقالوا يدْعُونَ اللّه :

« ربَّنا أَفرِغْ علَيْنا صَبْرًا ، وثَبِّتْ أَقْدامَنا وانْصُرْنا على الْقَوْمِ الكافرين » .

٤

كانت الحرب فى ذلك الوقتِ تَبْدأُ بيْنَ رجُل ورجُل ، ثم تدورُ بيْن الجيشَيْن ، فخرجَ رجالٌ يَقْتَتِلُون ، ثم خرجَ جالوت وقال :

ـ يا طالوتُ ، لِمَ يُقْتَلُ قَوْمى وقومُك ؟ اخرُجْ

لِقتالى أو أَخْرِجْ لِى مَنْ شِئت ، فإِن قتلتُكَ كانَ المُلْكُ لى ، وإنْ قتلتنى كان لك .

وصاح طالوت فى جنوده :

ـ من يخرج لقتال جالوت ؟

فلم يخرجْ أحد ، لأنَّ جالوتَ كان قويًّا ، وما كانَ أحدٌ يستطيعُ أن يَغْلِبَه . وبَقِىَ بنو إسرائيل خائفين مِنْ جالوت ، وجالوتُ واقفٌ فى كِبْرِياء ، يرتَدى ملابس الحرب .

قال جالوت : هل من أحد يريدُ أن يقاتِلَنى ؟

ورأى داودُ خوفَ بنى إسرائيل ، فخرجَ مِنَ الصفوف وقال :

ـ أَنا أُقاتلك .

فنظرَ جالوتُ الْفَخْمُ الضَّخْمُ إلى داودَ الصغير ، وقال له :

ـ ارجع يا فتى فإنى لا أريدُ أن أقْتُلَك .

فقال له داود :

ـ لا ، بل أنا أَقْتُلُك .

وكان داود يجيدُ استعمالَ القَذّافَة (المِقْلاع) ، فوضع فيها حجرا وأرسله ، فجاء الحجر بين عيْنَى جالوت ، فسقط على الأرض ، فأسرعَ داودُ إليه وقطعَ رأسه .

فلما رأى جيشُ جالوتَ قتلَ مَلِكِهم ، خافوا وفرّوا مغلوبين . وانتصرَ بنو إسرائيل على أعدائهم بفضل داود .

٥

كان داودُ جميلَ الصَّوْت ، فكان يُسبّح اللّه بصوته الجميل ، فَتَخْشَعُ قلوبُ الناس ؛ وكان كثيرَ العبادة ،

كثيرَ الصَّوْمِ والصَّلاة ، فأحبَّه اللّه ، وآتاهُ المُلْكَ على بني إسرائيل ، وعلّمه أشياءَ كثيرة ، وقال له :

« يا داود إنّا جعلْناكَ خليفةً في الأرض ، فاحكمْ بيْنَ الناس بالحَقّ ، ولا تتّبعِ الْهَوَى ، فيُضِلَّكَ عنْ سبيل اللّه ، إنَّ الّذين يَضِلُّون عن سبيلِ اللّه لهُمْ عذابٌ شديد ، بما نَسُوا يَومَ الحساب » .

ولم يكنْ داودُ يُمْضى كل وقْته فى الصلاةِ والصَّوْم ، بل كان يعملُ بيدِهِ ليأكل ، على الرَّغمِ منْ أنه مَلِك ، لأنه كان يعرفُ أن أفضلَ الكَسْب ما يكسِبُه الإنسانُ مِن صُنْع يديْه .

وقدْ آلانَ اللّه له الحديد ، فكانَ يَصْنَعُ مِنهُ ما يشاءُ من دُروعِ الحرْبِ وغيرها ، وعلّم الناسَ صُنْعَ الدُّروع من الحديدِ لِيَلْبَسُوها فى أثناءِ الحرب .

٦

تزوج داود زوجاتٍ كثيرات ، فكان له تِسعٌ وتسعون امرأة ، وفي يومٍ من الأيامِ وقف في شُرفة قصره ، فرأى امرأةً جميلة ، فأحبَّ أَنْ يَتزوَّجَها لُيكمل أزواجَه مائة ، ولكنّها كانتْ مُتزَوِّجَة ، فماذا يعمل ؟

دخل داود إلى محرابه يُصَلِّي لله ، وهنا جاء رجلان وطلبا مقابلته ، فقال لهما الحراس : إنّه لا يستطيع أنَ يقابلكما اليوم ، لأنَّ اليومَ يوم عبادته ؛ فذهبا إلى سُورِ المحرابِ وتَسلّقاه ، ودَخلا على داودَ وهو يُصَلّي ؛ فما شعر إلا وهما جالسان بين يديه . فخاف منهما ؛ فقالا له : لا تَخَفْ ، إنما نحنُ خَصمانِ بَغَى بعضُنا على بعض ، فاحكمْ بيننا بالحقّ .

قال لهما :

ـ قُصّا عليَّ قِصّتكما .

قال أولهما :

ـ إنَّ هذا أخي ، له تسعٌ وتسعون نعجة ، وَلِي نعجة واحدة ، فهو يريد أن يأخذ نعجتي فيُكملَ بها نعاجَه مائة .

قالَ داود :

ـ لقد ظلمَكَ بسؤالِ نعْجَتِك إلى نعاجه .

وهنا اختفى الرجلان فجأة ، فعرفَ داودُ أنهما ملَكانِ أرسلهما اللّه ليُفهِماه خطأه . فخرَّ راكعًا لله ، وراح يَبكي ، واستمر في بكائه ودعائه واستغفاره حتى أوحى اللّه إليه :

ـ يا داود ، ارفع رأسك ، فقد غفرت لك ، ووهبت لك ابنا يكون اسمه سليمان ، وسيكون مثلك صاحبَ عقلٍ حكيم .

٧

رزَق اللّه داودَ بابنهِ سليمان ، ففرِحَ بـه ، واعْتَنى بتربيتهِ وتعليمه ، حتى كبِرَ وشبَّ .

وصار سليمانُ يجلس مع أبيه وهو يحكُم بين النـاس بالعدل والحق .

وفي ذات يـومٍ جلـسَ داودُ ومعـهُ سـليمانُ فجـاءَ رجلان يَخْتَصِمان .

قال أحدُهما :

ــ إن غنمَ هذا الرَّجُلِ دخلتْ حَقْلى ، وأكلـتْ مـا فيه من الزَّرعِ .

وسأل داودُ صاحبَ الغنم :

ــ هل فعَلتْ غنمُك هذا ؟

قال :

ــ نعم . أيُّها الملِكُ العادلُ .

قال داود :

ــ يأخذُ صاحبُ الحقلِ هـذِه الغنـم ، مقـابِلَ زَرعِـه الّذى فسَد .

عند ذلك قال سليمان :

ــ عندى فِكرةٌ أخرى يا نبيَّ اللّه .

قال داود :

ــ قلْ .

قال سليمان :

ــ صاحبُ الغنمِ يأخذ الحقلَ ليُصْلِحَـه ، وصـاحبُ الحقلِ يأخذُ الغنـمَ لينتفِـعَ بلبنهـا ونِتاجهـا . حتـى إذا عادَ الحقلُ كما كان . أخـذَ صـاحبُ الحقـل حَقْلـه ، وأخذَ صاحبُ الغنمِ غنمَه .

قال داود :

ـ الآن يجب أَن تتولّى أَنت الْحُكم ، فقد أصبحت أنا شيخا كبيرا ضعيفا . أما أنت فصرتَ رجلا قويا حكيما .